وبعد فيا أهل الشهداء.. الصبر.. الصبر.. إن دموع العالم الإسلامي كله قد مازجت دموعكم وقلوبهم جميعًا قد قاسمت بالأسى قلوبكم، ولكم أخ لكم وصديق ومأتمكم صار مأتم دنيا الإسلام كلها.. واللَّه معكم خير من الجميع.. ولن يفلت سفاح مصر من الانتقام.. والمنتقم هو اللَّه»[١].

* **الشيخ القرضاوي صاحب الملحمة النونية:**

هو صاحب المواقف المشكورة في الدفاع عن قضايا المسلمين، وكل يؤخذ من قوله ويترك، وله القلم السيال في تصوير مآسي المسلمين، وهو صاحب النونية وهي ملحمةٌ ألفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام ١٩٥٥م، هذه الملحمة التي نقدمها بين يدي القارئ ـ تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهرًا في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، في السجن الحربي. إنها تصويرٌ بسيطٌ لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذبوا في هذا السجن الرهيب.

لقد ألف الشاعر هذه القصيدة، أو الملحمة، في ظروف عصيبةٍ داخل السجن الحربي؛ حيث لم يكن يسمح لأي معتقل بأن يبقي معه ورقةً أو قلمًا؛ ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور؛ فقد حفظها عددٌ كبيرٌ من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواةً، ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

فلنقرأ هذه الوثيقة التاريخية التي سجلت، بأمانةٍ ودقةٍ، جزءًا أسود من جرائم الطاغية ضد الحركة الإسلامية[٢].

ثَارَ القَرِيضُ بِخَاطِرِي فَدَعُونِي ... أُفْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشُجُونِي

فَالشِّعْرُ دَمْعِي حِينَ يَعْصِرُنِي الأَسَى ... وَالشِّعْرُ عُودِي يَوْمَ عَزْفِ لُحُونِي

(١) «عرس الشهداء» لعلي الطنطاوي (ص١٩ ـ ٢٨) ـ دار المنار الحديثة.

(٢) «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» الجزء الثالث، أحمد الجدع، حسني جرار. ط٤ ـ مؤسسة الرسالة، (ص١٨ ـ ٣٦).

كَمْ قَالَ صَحْبِي أَيْنَ غُرُّ قَصَائِدٍ ... تُشْجِي الْقُلُوبَ بِلَحْنِهَا الْمَحْزُونِ؟
وَتُخَلِّدُ الذِّكْرَى الأَلِيمَةَ لِلْوَرَى ... تُتْلَى عَلَى الأَجْيَالِ بَعدَ قُرُونِ
مَا حِيلَتِي وَالشِّعْرُ فَيْضُ خَوَاطِرٍ ... مَا دُمْتُ أَبْغِيهِ وَلاَ يَبْغِينِي؟!
وَالْيَوْمَ عَاوَدَنِي الْمَلاكُ فَهَزَّنِي ... طَرَبًا إِلَى الإِنْشَادِ وَالتَّلْحِينِ
أُلْهِمْتُهَا عَصْمَاءَ تَنْبُعُ مِنْ دَمِي ... وَيَمُدُّهَا قَلْبِي وَمَاءُ عُيُونِي
نُونِيَّةً وَالنُّونُ تَحْلُو فِي فَمِي ... أَبَدًا فَكِدْتُ يُقَالُ لِي «ذُو النُّونِ»
صَوَّرْتُ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتُ بِرِيشَتِي ... وَتَرَكْتُ لِلأَيَّامِ مَا يُعْيِينِي
مَا هِمْتُ فِيهَا بِالْخَيَالِ فَإِنَّ لِي ... بَغَرَائِبِ الأَحْدَاثِ مَا يُغْنِينِي
أَحْدَثُ عَهْدٍ عِصَابَةٍ حَكَمُوا بَنِي ... مِصْرٍ بِلاَ خُلُقٍ وَلا قَانُونِ
أَنْسَتْ مَظَالِمُهُم مَظَالِمَ مَنْ خَلَوْا ... حَتَّى تَرَحَّمْنَا عَلَى «نِيرُونِ»!
يَا سَائِلِي عَنْ قِصَّتِي، اسْمَعْ إِنَّهَا ... قِصَصٌ مِنَ الأَهْوَالِ ذَاتُ شُجُونِ
أَمْسِكْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَطِيرَ مُفَزَّعًا ... وَتَوَلَّ عَنْ دُنْيَاكَ حَتَّى حِينِ
فَالْهَوْلُ عَاتٍ وَالْحَقَائِقُ مُرَّةٌ ... تَسْمُو عَلَى التَّصْوِيرِ وَالتَّبْيِينِ
وَالْخَطْبُ لَيْسَ بِخَطْبِ مِصْرٍ وَحْدَهَا ... بَلْ خَطْبُ هَذَا الْمَشْرِقِ الْمِسْكِينِ
فِي لَيْلَةٍ لَيْلاَءَ مِنْ نُوفَمْبَرٍ ... فُزِّعْتُ مِنْ نَوْمِي لِصَوْتِ رَنِينِ
فَإِذَا «كِلاَبُ الصَّيْدِ» تَهْجِمُ بَغْتَةً ... وَتَحُوطُنِي عَنْ شَمْأَلٍ وَيَمِينِ
فَتَخَطَّفُونِي مِنْ ذَوِيَّ وَأَقْبَلُوا ... فَرَحًا بِصَيْدٍ لِلطُّغَاةِ سَمِينِ
وَعُزِلْتُ عَنْ بَصَرِ الْحَيَاةِ وَسَمْعِهَا ... وَقُذِفْتُ فِي قَفَصِ الْعَذَابِ الْهُونِ
فِي سَاحَةِ «الْحَرْبِيِّ»[1] حَسْبُكَ بِاسْمِهِ ... مِنْ بَاعِثٍ لِلرُّعْبِ قَدْ طَرَحُونِي

(١) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال؛ ليودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية، وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام، في

مَا كِدْتُ أَدْخُلُ بَابَهُ حَتَّى رَأَتْ ... عَيْنَايَ مَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ ظُنُونِي
فِي كُلِّ شِبْرٍ لِلْعَذَابِ مَنَاظِرٌ ... يَنْدَى لَهَا - وَاللَّهِ - كُلُّ جَبِينِ
فَتَرَى الْعَسَاكِرَ وَالْكِلابَ مُعَدَّةً ... لِلنَّهْشِ طَوْعَ الْقَائِدِ الْمَفْتُونِ
هَذِي تَعُضُّ بِنَابِهَا وَزَمِيلُهَا ... يَعْدُو عَلَيْكَ بِسَوْطِهِ الْمَسْنُونِ
وَمَضَتْ عَلَيَّ دَقَائِقٌ وَكَأَنَّهَا ... مِمَّا لَقِيتُ بِهِنَّ بِضْعُ سِنِينِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَانِ؟ وَمَا جَرَى؟ ... لاَ زِلْتُ حَيًّا أَمْ لَقِيتُ مَنُونِي؟
عَجَبًا! أَسِجْنٌ ذَاكَ أَمْ هُوَ غَابَةٌ؟ ... بَرَزَتْ كَوَاسِرُهَا جِيَاعَ بُطُونِ؟
أَأَرَى بِنَاءً أَمْ أَرَى شِقَّيْ رَحًى ... جَبَّارَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ طَحُونِ؟

= كل قسم عدد من الزنازين، بعضها يبلغ المئات، والزنزانة غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف، وهي مطلية بطلاء قاتم، وقد أعدت لتكون سجنًا انفراديًّا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود عبدالناصر يودعون في الزنزانة الواحدة سبعة أو ثمانية، بل عشرة في بعض الأحيان، هذا بالإضافة إلى سجون القلعة، وقرة ميدان، وطرة، والقنطرة، والواحات، وغيرها.. وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي؛ حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب، وعلى أرضه قُتِل العشرات من المعذبين. وأخيرًا، وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية، أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب، بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٥، مجموعة أحكام؛ فقد قررت المحكمة تعويض المستشار على جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه، يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبدالكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل، والرائد حسن كفافي، والملازم أشرف صقوت الروبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم وإزالة السجن الحربي؛ باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين؛ وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل، بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال، وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من أسهم في إذلال الشعب، وتعذيب أفراده بصورة أو بأخرى.

وَاهًا!! أَفِي حُلُمٍ أَنَا أَمْ يَقْظَةٍ ... أَمْ تِلْكَ دَارُ خَيَالَةٍ وَفُتُونِ؟
لاَ، لاَ أَشُكُّ، هِيَ الْحَقِيقَةُ حَيَّةٌ ... أَأَشُكُّ فِي ذَاتِي وَعَيْنٍ يَقِينِي؟
هَذِي مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ فَكَيْفَ مَا ... تَحْوِي الْفُصُولُ السُّودُ مِنْ مَضْمُونِ؟

* * *

هَذَا هُوَ «الْحَرْبِيُّ» مَعْقِلُ ثَوْرَةٍ ... تَدْعُو إِلَى التَّحْرِيرِ وَالتَّكْوِينِ؟
فِيهِ زَبَانِيَةٌ أُعِدُّوا لِلأَذَى ... وَتَخَصَّصُوا فِي فَنِّهِ الْمَلْعُونِ
مُتَبَلِّدُونَ عَقُولُهُمْ بِأَكُفِّهِمْ ... وَأَكُفُّهُمْ لِلشَّرِّ ذَاتُ حَنِينِ
لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمُو وَبَيْنَ سِيَاطِهِمْ ... كُلٌّ أَدَاةٌ فِي يَدَيْ مَأْفُونِ
يَتَلَقَّفُونَ الْقَادِمِينَ كَأَنَّهُمْ ... عَثَرُوا عَلَى كَنْزٍ لَدَيْكَ ثَمِينِ
بِالرِّجْلِ، بِالْكُرْبَاجِ، بِالْيَدِ، بِالْعَصَا ... وَبِكُلِّ أُسْلُوبٍ خَسِيسٍ دُونِ
لاَ يَقْدِرُونَ مُفَكِّرًا وَلَوَ أَنَّهُ ... فِي عَقْلِ سُقْرَاطٍ وَأَفْلاَطُونِ
لاَ يَعْبَئُونَ بِصَالِحٍ وَلَوَ أَنَّهُ ... فِي زُهْدِ عِيسَى أَوْ تُقَى هَارُونِ
لاَ يَرْحَمُونَ الشَّيْخَ وَهْوَ مُحَطَّمٌ ... وَالظَّهْرُ مِنْهُ تَرَاهُ كَالْعُرْجُونِ
لاَ يُشْفِقُونَ عَلَى الْمَرِيضِ وَطَالَمَا ... زَادُوا أَذَاهُ بِقَسْوَةٍ وَجُنُونِ
أَتَرَى أُولَئِكَ يَنْتَمُونَ لآدَمٍ ... أَمْ هُمْ مَلاَعِينٌ بَنُو مَلْعُونِ؟
تَاللَّهِ، أَيْنَ الآدَمِيَّةُ مِنْهُمُو؟ ... مِنْ مِثْلِ مَحْمُودٍ وَمِنْ يَاسِينِ؟
مِنْ جَوْدَةٍ أَوْ مِنْ دِيَابَ وَمُصْطَفَى ... وَحَمَادَةٍ وَعَطِيَّةٍ وَأَمِينِ[1]

(١) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، وقد كانوا يُختارون من الجنود الفسقة القساة، المعروفين بميولهم الإجرامية، ثم يحشون رءوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان، ويغرونهم بمكافآت مادية باهظة، وعلاوات استثنائية، سُميت «علاوة إجرام»، وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترقيات والعلاوات والمكافآت.

لا تَحْسَبُوهُمْ مُسْلِمِينَ مِن اسْمِهِمْ ... لا دِينَ فِيهِمْ غَيْرُ سَبِّ الدِّينِ!
لا دِينَ يَرْدَعُ لا ضَمِيرَ مُحَاسِبٌ ... لا خَوْفَ شَعْبٍ لا حِمَى قَانُونِ
مَنْ ظَنَّ قَانُونًا هُنَاكَ فَإِنَّمَا ... قَانُونُنَا هُوَ «حَمْزَةُ الْبَسْيُونِي»[1]
جَلاَّدُ ثَوْرَتِهِمْ وَسَوْطُ عَذَابِهِمْ ... سَمَّوْهُ زُورًا قَائِدًا لِسُجُونِ!
وَجْهٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ[2] حَاقِدٌ ... مُسْتَكْبِرُ الْقَسَمَاتِ وَالْعِرْنِينِ
فِي خَدِّهِ شَجٌّ تَرَى مِنْ خَلْفِهِ ... نَفْسًا مُعَقَّدَةً وَقَلْبَ لَعِينِ
مُتَعَطِّشٌ لِلسُّوءِ، فِي الدَّمِ وَالِغٌ ... فِي الشَّرِّ مَنْقُوعٌ، بِهِ مَعْجُونُ
هَذَا هُوَ الْحَرْبِيُّ مَعْقِلُ ثَوْرَةٍ ... تَدْعُو إِلَى التَّطْوِيرِ وَالتَّحْسِينِ!
هُوَ صُورَةٌ صُغْرَى اسْتُعِيرَتْ مِنْ لَظَى ... فِي ضِيقِهَا وضعَذَابِهَا الْمَلْعُونِ
هُوَ مَصْنَعٌ لِلْهَوْلِ كَمْ أَهْدَى لَنَا ... صُوَرًا تُذَكِّرُنَا بِيَوْمِ الدِّينِ
هُوَ فِتْنَةٌ فِي الدِّينِ لَوْلاَ نَفْحَةٌ ... مِنْ فَيْضِ إِيمَانٍ وَبَرْدِ يَقِينِ

* * *

قُلْ لِلْعَوَاذِلِ إِنْ رَمَيْتُمْ مِصْرَنَا ... بِتَخَلُّفِ التَّصْنِيعِ وَالتَّعْدِينِ
مِصْرُ الْحَدِيثَةُ قَدْ عَلَتْ وَتَقَدَّمَتْ ... فِي صَنْعَةِ التَّعْذِيبِ وَالتَّقْرِينِ!!
وَتَفَنَّنَتْ - كَيْ لاَ يَمَلَّ مُعَذَّبٌ - ... فِي الْعَرْضِ وَالإِخْرَاجِ وَالتَّلْوِينِ
أَسَمِعْتَ بِالإِنسَانِ يُنْفَخُ بَطْنُهُ ... حَتَّى يُرَى فِي هَيْئَةِ «الْبَالُونِ»؟

(١) حمزة البسيوني: ضابط كان برتبة مقدم «بكباش» عام ١٩٥٤، وهو قائد السجون الحربية حينذاك، وبقي قائدًا لها في هذه المحنة. هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان «شرشوح» لا دين له ولا خلق، قال مرة للإخوان: «هاتوا لي ربكم وأنا أحطه في رنزانة!»، لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طُرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده عبدالناصر خصيصًا لتعذيب الإخوان.

(٢) قمطرير: مقبض ما بين العينين لشدته.

أَسَمِعْتَ بِالإِنسانِ يُضْغَطُ رَأسُهُ ... بِالطَّوْقِ حَتَّى يَنْتَهِي لِجُنُونِ
أَسَمِعْتَ بِالإِنْسَانِ يُشْعَلُ جِسْمُهُ ... نَارًا وَقَدْ صَبَغُوهُ «بِالْفَزْلِين»؟
أَسَمِعْتَ مَا يَلْقَى الْبَرِيءُ وَيَصْطَلِي ... حَتَّى يَقُولَ: أَنَا الْمُسِيءُ خُذُونِي!
أَسَمِعْتَ بِالآهَاتِ تَخْتَرِقُ الدُّجَى ... رَبَّاهُ عَدْلَكَ، إِنَّهُمْ قَتَلُونِي!!
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ فَسَلْ عَمَّا جَرَى ... مِثْلِي، وَلاَ يُنْبِيكَ مِثْلُ سَجِينِ
وَاسْأَلْ ثَرَى «الْحَرْبِيِّ» أَوْ جُدْرَانَهْ ... كَمْ مِنْ كَسِيرٍ فِيهِ أَوْ مَطْعُونِ
وَسَلِ السِّيَاطَ السُّودَ كَمْ شَرِبَتْ دَمًا ... حَتَّى غَدَتْ حُمْرًا بِلاَ تَلْوِينِ
وَسَلِ «الْعَرُوسَةَ» قُبِّحَتْ مِنْ عَاهِرٍ ... كَمْ مِنْ جَرِيحٍ عِنْدَهَا وَطَعِينِ
كَمْ فِتْيَةٍ زُفُّوا إِلَيْهَا عُنْوَةً ... سَقَطُوا مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّوْهِينِ
وَاسْأَلْ «زَنَازِينَ» الْجَلِيدِ تُجِبْكَ عَنْ ... فَنِّ الْعَذَابِ وَصَنْعَةِ التَّلْقِينِ
بِالنَّارِ أَوْ بِالزَّمْهَرِيرِ فَتِلْكَ فِي ... حِينٍ، وَهَذَا الزَّمْهَرِيرُ بِحِينِ
يُلْقَى الْفَتَى فِيهِ لَيَالِيَ عَارِيًا ... أَوْ شِبْهَ عَارٍ فِي شِتَا كَانُونِ
وَهُنَاكَ يُمْلِي الإِعْتِرَافَ كَمَا اشْتَهَوْا ... أَوْ لاَ فَوَيْلَ مُخَالِفٍ وَحَرُونِ
وَسَلِ «الْمُقَطَّمَ» وَهْوَ أَعْدَلُ شَاهِدٍ ... كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي التِّلاَلِ دَفِينِ[1]
قَتَلَتْهُ طُغْمَةُ مِصْرَ أَبْشَعَ قِتْلَةٍ ... لاَ بِالرَّصَاصِ وَلاَ الْقَنَا الْمَسْنُونِ

(١) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم عبدالناصر هم الستة الذين شنقوا علنًا بحكم المحكمة الهزلية، التي سُميت زورا «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قُتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جدًّا، يكفي أن تضيف إليهم ٢٤ شهيدًا أُطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة، مع أنهم سجناء، والتحقيقات التي أُجريت في السجن الحربي أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين، وأدوات التعذيب، وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية؛ ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، وحسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير، وغيرهم، وغيرهم.

بَلْ عَلَّقُوهُ كَالذَّبِيحَةِ هُيِّئَتْ ... لِلْقَطْعِ وَالتَّمْزِيقِ بِالسِّكِّينِ
وَتَهَجَّدُوا فِيهِ لَيَالِيَ كُلَّهَا ... جَلْدٌ وَهُمْ فِي الْجَلْدِ أَهْلُ فُنُونِ
فَإِذَا السِّيَاطُ عَجَزْنَ عَنْ إِنْطَاقِهِ ... فَالْكَيُّ بِالنِّيرَانِ خَيْرُ ضَمِينِ
وَمَضَتْ لَيَالٍ وَالْعَذَابُ مُسَجَّرٌ ... لِفَتًى بِأَيْدِي الْمُجْرِمِينَ رَهِينِ
لَمْ يَعْبَئُوا بِجِرَاحِهِ وَصَدِيدِهَا ... لَمْ يَسْمَعُوا لِتَأَوُّهٍ وَأَنِينِ
قَالُوا: اعْتَرِفْ أَوْ مُتْ فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ... فَأَبَى الْفَتَى إِلاَّ اخْتِيَارَ مَنُونِ
وَجَرَى الدَّمُ الدَّفَّاقُ يَسْطُرُ فِي الثَّرَى ... يَا إِخْوَتِي اسْتُشْهِدْتُ فَاحْتَسِبُونِي
لاَ تَحْزَنُوا؟ إِنِّي لِرَبِّي ذَاهِبٌ ... أَحْيَا حَيَاةَ الْحُرِّ لاَ الْمَسْجُونِ
وَامْضُوا عَلَى دَرْبِ الْهُدَى لاَ تَيْأَسُوا ... فَالْيَأْسُ أَصْلُ الضَّعْفِ وَالتَّوْهِينِ
قُولُوا لأُمِّي: لاَ تَنُوحِي وَاصْبِرِي ... أَنَا عِنْدَ خَالِقِيَ الَّذِي يَهْدِينِي
أَنَا فِي رُبَا الْفِرْدَوْسِ أَقْفِزُ شَادِيًا ... جَذْلاَنَ كَالْعُصْفُورِ بَيْنَ غُصُونِ
وَإِذَا حُرِمْتُ الْعُرْسَ فِي الدُّنْيَا فَلِي ... مَا شِئْتُ فِيهَا مِنْ حِسَانِ عِينِ
أُمَّاهُ حَسْبُكِ أَنْ أَمُوتَ مُعَذَّبًا ... فِي اللَّهِ لاَ فِي شَهْوَةٍ وَمُجُونِ
مَا خُنْتُ دِينِي أَوْ حِمَاى وَلَمْ أَكُنْ ... يَوْمًا عَلَى حُرُمَاتِهِ بِضَنِينِ
فَلْيَسْأَلُوا عَنِّي «الْقَنَاةَ» وَيَسْأَلُوا ... عَنِّي «الْيَهُودَ» فَطَالَمَا خَبَرُونِي
سُحْقًا لَجَزَّارِينَ كُمْ ذَبَحُوا فَتًى ... مُسْتَهْتِرِينَ كَأَنَّهُ ابْنُ لَبُونِ[1] !
فَإِذَا قَضَى ذَهَبُوا بِجُثَّتِهِ إِلَى ... تَلِّ الْمُقَطَّمِ وَهْوَ غَيْرُ بَطِينِ[2]
لَفُّوهُ فِي ثَوْبِ الدُّجَى وَتَسَلَّلُوا ... سَارِينَ بَيْنَ مَفَاوِزٍ وَحُزُونِ[3]
وَارَوْهُ ثُمَّ مَحَوْا مَعَالِمَ رَمْسِهِ ... فَغَدَا كَسِرٍّ فِي الثَّرَى مَكْنُونِ

(١) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن؛ وهو الذي أتم سنتين، ودخل في الثالثة.
(٢) البطين: البعيد.
(٣) حزون: جمع حزن: ما غلظ من الأرض.

أَخْفَوْهُ عَنْ عَيْنِ الأَنَامِ وَمَا دَرَوْا ... أَنَّ الإِلَهَ يَرَاهُمُ بِعُيُونِ
اللَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْكَوَاكِبُ وَالثَّرَى ... وَكَفَى بِهِمْ شُهَدَاءَ يَوْمَ الدِّينِ

* * *

قَالُوا: مُحَاكَمَةٌ، فَقُلْتُ: رِوَايَةٌ ... أَعْطَوْا لِمُخْرِجِهَا وِسَامَ فُنُونِ
هِيَ شَرُّ مُهْزَلَةٍ وَمَأْسَاةٍ مَعًا ... قَدْ أَضْحَكَتْنِي مِثْلَ مَا تُبْكِينِي
أَوَعَتْ سِجِلاَّتُ الْقَضَاءِ قَضِيَّةً ... كَقَضِيَّةِ «الإِخْوَانِ»؟ أَيْنَ؟ أَرُونِي؟
الْخَصْمُ فِيهَا مُدَّعٍ وَمُحَقِّقٌ ... وَهْوَ الَّذِي يَقْضِي بِلا قَانُونِ
إِلاَّ هَوَاهُ وَمَا يَدُورُ بِرَأْسِهِ ... مِنْ خَلْطِ سِكِّيرٍ وَرَأْيِ أَفِينِ
أَرَأَيْتَ مَحْكَمَةً تَرَأَّسَهَا امْرُؤٌ ... يَدْعُوهُ مَنْ عَرَفُوهُ «بِالْمَجْنُونِ»[1]
أَرَأَيْتَ أَحْرَارًا رَمَوْا بِهُمُو لَدَى ... قَاضٍ عَدِيمٍ دِينَهُ مَأْبُونِ
وَالْوَيْلُ لامْرِيءٍ اسْتَبَاحَ لِنَفْسِهِ ... إِظْهَارَ تَعْذِيبٍ وَدَفْعَ ظُنُونِ
سَيَعُودُ «لِلْحَرْبِيِّ» يَأْخُذُ حَظَّهُ ... وَجَزَاءَهُ الأَوْفَى مِنَ «الْبَسْيُونِي»

* * *

أَنَا إِنْ نَسِيتُ فَلَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً ... فِي سَاحَةِ الْحَرْبِيِّ ذَاتَ شُجُونِ
عُدْنَا الْمَسَاءَ مِنَ الْمُحَاكَمَةِ الَّتِي ... كَانَتْ فُصُولَ فُكَاهَةٍ وَمُجُونِ
مَا كَادَ يَعْرُونَا الْكَرَى حَتَّى دَعَا ... دَاعِي الرَّدَى وَكَفَاكَ صَوْتُ أَمِينِ[2]

---

(١) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة، ثم عينه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية؛ أمثال حسن الهضيبي، وعبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وقد أقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالمًا سلط عليه، سنة اللَّه في خلقه.

(٢) أمين السيد: رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة.

فَتَجَمَّعَ «الإِخْوَانُ» ممَّنْ حُوكِمُوا ... ذَا الْيَوْمَ مِنْ طَنْطَا إِلَى بَسْيُونِ
أَمَّا الأُلَى سَيُحَاكَمُونَ فَأُحْضِرُوا ... لِيَرَوْا يَقِينًا لَيْسَ بِالْمَظْنُونِ
وَإِذَا بِقَائِدِنَا الْمُظَفَّرِ حَمْزَةٍ ... فِي عَسْكَرٍ شَاكِي السِّلاحِ حَصِينِ
حَشَدَ الْجُنُودَ وَصَفَّهَا بِمَهَارَةٍ ... وَكَأَنَّـــهُ عَمْـــرٌو بِأَجْنَـــادِيـنِ
وَأَحَاطَنَا بِبَنَادِقٍ وَمَدَافِعٍ ... فَغَرَتْ لَنَـــا فَاهَا كَفِي التِّنِّينِ
طَابُورُ «تَكْدِيرٍ» ثَقِيلٍ مُرْهِقٍ ... فِي وَقْتِ أَحْلامٍ وَآنِ سُكُونِ
نُعْدُو كَمَا تَعْدُو الظِّبَاءُ يَسُوقُنَا ... لَهَبُ السِّيَاطِ شَكَتْ مِنَ التَّسْخِينِ
وَمَضَتْ عَلَيْنَا سَاعَتَانِ وَكُلُّنَا ... عَرَقٌ تَصَبَّبَ مِثْلَ فَيْضِ عُيُونِ
مَنْ خَرَّ إِغْمَاءً يُفِقْ عَجِلاً عَلَى ... ضَرَبَاتِ صَوْتٍ لِلْعَذَابِ مُهِينِ
وَمَنِ ارْتَمَى فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْخُوخَةٍ ... أَوْ عِلَّةٍ دَاسُوهُ دَوْسَ الطِّينِ
لَمْ يَكْفِ حَمْزَةَ كُلُّ مَا نُؤْنَا بِهِ ... مِنْ فَرْطِ إِعْيَاءٍ وَمِنْ تَوْهِينِ
فَأَتَى يُوَزِّعُ بِالْمُفَرِّقِ دُفْعَةً ... بِالسَّوْطِ مِنْ عِشْرِينَ لِلْخَمْسِينِ
كُلٌّ يَنَالُ نَصِيبَهُ بِنَزَاهَةٍ ... فِي الْعَدِّ وَالإِتْقَانِ وَالتَّحْسِينِ
وَإِذَا نَسِيتُ فَلَسْتُ أَنْسَى خُطْبَةً ... مَا زَالَ صَوْتُ خَطِيبِهَا يُشْجِينِي
إِذْ قَالَ حَمْزَةُ ـ وَهْوَ مُنْتَفِخٌ ـ فَلَمْ ... يَتْرُكْ لِفِرْعَوْنٍ وَلا قَارُونِ
أَيْنَ الأُلَى اصْطَنَعُوا الْبُطُولَةَ وَادَّعَوْا ... أَنِّي أُعَذِّبُهُمْ هُنَا بِسُجُونِي
أَظَنَنْتُمُو هَذَا يُخَفِّفُ عَنْكُمُو؟ ... كَلاَّ، فَأَمْرُكُمُ انْتَهَى، وَسَلُونِي؟
أَمْ تَحْسَبُونَ كَلامَ أَلْفٍ مِنْكُمُو ... عَنْكُمْ وَعَنْ تَعْذِيبِكُمْ يُثْنِينِي؟
إِنِّي هُنَا الْقَانُونُ، أَعْلَى سُلْطَةٍ ... مَنْ ذَا يُحَاسِبُ سُلْطَةَ الْقَانُونِ
مُتَفَرِّدٌ فِي الْحُكْمِ دُونَ مُعَقِّبٍ ... مَنْ ذَا يُخَالِفُنِي وَمَنْ يَعْصِينِي
فَـــإِذَا أَرَدْتُ وَهَبْتُـــكُمْ حُرِّيَّـــةً ... أَوْ شِئْتُ ذُقْتُمْ مِنْ عَذَابِي الْهُونِ
مَنْ مِنْكُمُو سَـــامَحْتُهُ فَبِرَحْمَتِي ... وَإِذَا أَبَيْتُ فَذَاكَ طَوْعُ يَمِينِي

وَمَنِ ابْتَغَى مَوْتًا فَهَا عِنْدِي لَهُ ... مَوْتٌ بِلاَ غُسْلٍ وَلاَ تَكْفِينِ
يَا فَارِسَ الْوَادِي وَقَائِدَ سَجْنِه ... أَبَنُو الْكِنَانَةِ أَمْ بَنُو صِهْيُونِ؟
هَلاَّ ذَهَبْتَ إِلَى الْحُدُودِ حَمَيْتَهَا ... وَأَرَيْتَنَا أَفْكَارَ نَابُلْيُونِ؟
اذْهَبْ لِغَزَّةَ يَا هُمَامُ وَأَنْسِنَا ... بِجِهَادِكَ الدَّامِي صَلاَحَ الدِّينِ!
أَفَضِدْتُنَا كَبْشُ النِّطَاحِ وَنَعْجَةٌ ... فِي الْحَرْبِ جَمَّاءٌ بِغَيْرِ قُرُونِ؟

* * *

قُلْ لِلَّذِي جَعَلَ الْكِنَانَةَ كُلَّهَا ... سِجْنًا وَبَاتَ الشَّعْبُ شَرَّ سَجِينِ
يَأَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي سُلْطَانِه ... أَمِنَ النُّضَارِ[1] خُلِقْتَ أَمْ مِنْ طِينِ؟
يَا مَنْ أَسَأْتَ لِكُلِّ مَنْ قَدْ أَحْسَنُوا ... لَكَ دَائِنِينَ فَكُنْتَ شَرَّ مَدِينِ
يَا ذِئْبَ غَدْرٍ نَصَّبُوهُ رَاعِيًا ... وَالذِّئْبُ لَمْ يَكُ سَاعَةً بِأَمِينِ
يَا مَنْ زَرَعْتَ الشَّرَّ لَنْ تَجْنِي سِوَى ... شَرٍّ وَحِقْدٍ فِي الصُّدُورِ دَفِينِ
سَيَزُولُ حُكْمُكَ يَا ظَلُومُ كَمَا انْقَضَتْ ... دُوَلٌ أُولَاتُ عَسَاكِرٍ وَحُصُونِ
سَتَهُبُّ عَاصِفَةٌ تَدُكُّ بِنَاءَهُ ... دَكًّا وَرُكْنُ الظُّلْمِ غَيْرُ رَكِينِ
مَاذَا كَسَبْتَ وَقَدْ بَذَلْتَ مِنَ الْقُوَى ... وَالْمَالِ ـ بِالآلاَفِ وَالْمِلْيُونِ؟
أَرْهَقْتَ أَعْصَابَ الْبِلاَدِ وَمَالَهَا ... وَرِجَالَهَا فِي الْهَدْمِ لاَ التَّكْوِينِ
وَأَدَرْتَ مَعْرَكَةً تَأَجَّجُ نَارُهَا ... مَعَ غَيْرِ «جُنْ بُولِ» وَلا «كُوهِينِ»
هَلْ عُدْتَ إِلاَّ بِالْهَزِيمَةِ مَرَّةً ... وَرَبِحْتَ غَيْرَ خَسَارَةِ الْمَغْبُونِ؟
وَحَفَرْتَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مَغَاوِرًا ... تَهْوِي بِهَا سَفْلاً إِلَى سِجِّينِ
وَبَنَيْتَ مِنْ أَشْلاَئِنَا وَعِظَامِنَا ... جِسْرًا بِهِ نَرْقَى لِعِلِّيِّينِ
وَصَنَعْتَ بِالْيَدِ نَعْشَ عَهْدِكَ طَائِعًا ... وَدَقَقْتَ إِسْفِينًا إِلَى إِسْفِينِ

(١) النضار: الذهب.

وَظَنَنْتَ دَعْوَتَنَا تَمُوتُ بِضَرْبَةٍ ... خَابَتْ ظُنُونُكَ فَهْيَ شَرُّ ظُنُونِ
بَلِيَتْ سِيَاطُكَ وَالْعَزَائِمُ لَمْ تَزَلْ ... مِنَّا كَحَدِّ الصَّارِمِ الْمَسْنُونِ
إِنَّا لَعَمْرِي إِنْ صَمَتْنَا بُرْهَةً ... فَالنَّارُ فِي الْبُرْكَانِ ذَاتُ كُمُونِ
تَاللَّهِ مَا الطُّغْيَانُ يَهْزِمُ دَعْوَةً ... يَوْمًا، وَفِي التَّارِيخِ بِرٌّ يَمِينِي
ضَعْ فِي يَدَيَّ الْقَيْدَ، أَلْهِبْ أَضْلُعِي ... بِالسَّوْطِ، ضَعْ عُنُقِي عَلَى السِّكِّينِ!
لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِي سَاعَةً ... أَوْ نَزْعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي!
فَالنُّورُ فِي قَلْبِي وَقَلْبِي فِي يَدَيْ ... رَبِّي وَرَبِّي نَاصِرِي وَمُعِينِي!
سَأَعِيشُ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ عَقِيدَتِي ... وَأَمُوتُ مُبْتَسِمًا لِيَحْيَا دِينِي!

*** أديب الإسلام الشيخ سيد قطب وصدعه بالحق وحكايته مع الطاغية:**

يعلم اللَّه أنا نكتب هذه الترجمة إنصافًا لقدر الناس، وأني لا أحيد عن مذهب السلف ومنهجهم قيد أنملة.

وبالسلفية إعجابنا ... إذا قلّ بالسلف المعجبُ

ولي وقفات كثيرة مع الفكر القطبي وجماعة القطبيين وردود طويلة على كتاب «حد الإسلام» وبيانًا لبدعهم.. ومع هذا أقول: إن للشيخ سيد قطب عبارات فيها استرسال وخاصة في مسائل التكفير وخاصة في تفسيره لسورة الأنعام في «الظلال» وهذه تحتاج لضبط سلفي، ونقدر مواقف الرجال وكلامهم يحتاج إلى روية وجمع لكلامهم المتفرق وأسلوب عف في النقد، مع بيان الخطأ والحيدة عن عقيدة السلف في كل صغيرة وكبيرة.. وليس من الإنصاف محاكمة الرجل على أنه عالم مدقق، وإنما الرجل يكتب بلسان الأديب وفيه استرسال فنبين خطأه وننقده فيه، ونذكر ما عنده من الصواب.. ويوم أن قتل أثنى عليه علاّمة الزمان وشيخ العصر ابن باز، وأثنى عليه بعد ذلك الشيخ بكر أبو زيد، وأثنى على كلمات له الشيخ الألباني.. وكان يكفي